مخطوط زهر البستان في دولة بني زيان" ـ نصوص شعرية ـ

أ/أحمد حاجي
جامعة.ورقلة

على الرّغم من جهود الباحثين و الدّارسين للأدب المغربي،و مساعيهم الحثيثة في الكشف عن إرثنا الحضاري،فإنّ هذه الجهود تبقى بحاجة إلى تدعيم و إصرار على مواصلة البحث و الاستمرار في تقديم شواهد،نُعدّها شاهدا على حقبةٍ ترك أصحابها بصماتهم.

وهذه الجهود- و التي لا ينكرها إلا جاحد-لازالت بحاجة إلى المادّة التي تستقي منها مبتغاها للدّراسة و التّحليل و الكشف عن جماليات الأدب المغربي.

وسنعرض-في هذه المقالة-مجموعة قصائد لشعراء مغمورين في الفترة الزيانية،من مخطوط" زهر البستان في دولة بني زيان"الجزء الثاني لمؤلّفٍ مجهول،ذكره د/ عبد الحميد حاجيات في قائمة مراجع كتابه الموسوم بـ:" أبو حمو موسى الزّيّاني،حياته و آثاره"،فهذا المخطوط محفوظ بمكتبة ريلاندز بمانشستر(انجلترا)رقم 283 قسم عربي[1]،وقد أفادني بجزء منه أحد الباحثين في مجال الأدب المغربي.فمن الأعلام المذكورين في مخطوط "زهر البستان في دولة بني زيان":

- أبو محمد عبد المؤمن المديوني و أوردنا له قصيدتين:واحدة يمدح فيها أبا حمو موسى الزّيّاني،والأخرى في المولديات،ولم نعثر له على ترجمة.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني،و ذكرنا له قصيدة واحدة،وهي ضمن المولديات.
- الفقيه الحاج محمد بن أبي جمعة التلالسي،له قصيدة واحدة في المولديات أيضا.

فمن شعرأبي محمد عبد المؤمن المديوني[2] في مدح أبي حمو موسى الزّياني:

وافى السّرور بحمد الله محتفلا و السّعد أقبلَ يا مولايَ متّصِلا

نصرٌ من الله مقرونٌ بجيشك لا ينفكُّ عنهُ و لا يبغي بَدَلا[3]

و النّصرُ يتبعهُ ما إن يفارقهُ به شاد الرضى و الأمن و الأملا

جاءت بشائرُ تتلوها نظائرها فاشكر لربّكَ ما أولى وما فعلا

هذاعدوّك قد ولّت كتائبه وفرّ منهزما ما إن فارق الخطلا

لا يستطيع رجوعا من مخافتكم كأنه القنص مذعورا إذا جفلا

فصارمُ الحزم مسلولٌ بكفّكَ لا تَرْهَبْ فبادرْ به الأعناق والغللا

وعش سعيدا قرير العين في دعة ودع مناوئك يبكي الدار والطّللا

واجن الأماني كما تهوى فمثلك من حاز الكمال و مَنْ بالمكرمات علا

أرى اللّيالي و الأيام ضاحكة أتتك خاضعة مكسوَّة حُلَلا

كأنّها جودة راقت محاسنها تهدي لعاشقها من ثغرها قبلا

فاعطف عليها يا مولاي اذ سمحت بوصلها و أتت محمرَّةً خجلا

و ضُمّها وارتشف من ريق مبسمها خمرا معقّقة ممزوجةً عسلا

و أنِلها منك وصلاً غيرَ منفصلٍ و لا تقارضها هجرا ولا مللا

ثمّ اغتفر ما جنت من بعد عثرتها و عاملتك به في ما مضى وخلا

يا أيّها الملك الميمونُ طائرهُ وافاك سعدك يا مولاي مقتبلا

أعطاك ربّك مُلْكا دونما تعب و زادك الله تدبيرا به كملا

لابد أن تملك الدّنيا بأجمعها رغما على أنف من أبدى الجفا وقلا

و ترتقي فوق ما كنت تأمله حتّى تصير لكم أعداؤكم حملا

يا سائلي عن ملك فيه أربعة بأس و حلم و إيثار اذا وصلا

و حسن رأي سديد وهو رابعها كالعطف و النّعت و التّوكيد و البدلا

شاعتمكارمه في الأرض وانتشرت من شاء مصداق قولي يقتفي السّبلا

لازلت أنشد ما أولاه من نعم و مدحه في فمي قد لذَّ لي وحلا

فالله يبقيه في أمنٍ و في دعةٍ و مُقضيا أرَبا مبلِّغًا أملا

ثمّ السّلامُ عليه دائما أبدا ماحلّتِالشّمس من أبراجها الحملا[4]

ومن شعره أيضا في المولديات:

شهر ربيع زرنا ياحبّذا أهلاً به من زائرٍ متفقِّدِ

في كلّ عام مرّة تهدي لنا أزهاره مبشّرا بالمولد

أيا ربيع لك العلا فارْقَ للعلا فضلاً ولاتسمعْ لقول مُفَنِّدِ

ويارببع لك المفاخر كلّها ولك الشّهور أدلة كالأعْيدِ

فيك استهلَّ نبيُّنا خير الورى في ساعة طلعت بسعد مسعد

فتكشّفتْ ظلماء كلّ ضلالة وانجاب عيبها لكلّ موحِّد

والكفر ولّى لا ضلالة بعده قد هدَّ ما قد شاده بمحمَّدِ

فكأنّهُ من نوره وبهائه قمرٌ بدا في جنح ليلٍ أسودِ

فتنكّست أصنامُ قيصرَعنده واغتاظ قائما كميت ملحد

ثم انطفت نيران فارس بعدما مرّت سنون وجمرها لم يخمد

والتّاج عن كسرى تساقط هيبة بظهورخير العالمين محمد

وتضعضع الإيوان من جنباته وبدت أمور للكفور الملحد

هذا وكم ظهرت له من آية كالشّمس في إشراقها أو أزيد

من معجزات عزّ يأتي بها بشر سواه ومثلها لم يشهد

ككلام ضبٍّ و الغزالة بعده والذّئب حقا و الحصا و الجلمد

ثم انشقاق البدر و الماء الذي روّى الجيوش من الأصابع و اليد

ويرى الذي من خلفه مثل الذي يأتي قبالته عمّا في المسند

الهاشميّ المصطفى علم الهدى فله البشرى وله الشّفاعة في غد[5]

ذهل العقول الى المقام الأوحد يوم يقوم النّاس من أجداثهم

شعثا عراة خائفين وفوقهم شمس تضرّب و الجوارح ترعد

والنّار جيء بها لتلفح من عصى و الخلق في قلق وكرب مجهد

و الله رب قد تجلى للقضا بين العباد فياله من مشهد

ويود مقترف الجرائم في الدنا لو كان ينفع أنّه لم يولد

فهناك يشفع شافع ومشفّع ويضرب في ظالم أو معتد

خير الورى محبوبنا ونبيّنا فهو الذي نرجو ليوم الموعد

يوما ينادى أمتّي ياسيّدي أوعدتني وعدا فبلّغ مقصدي

فيجيبه لك يامحمّد ما تشا هذا الجنان بها فلج ثمّ اصعد

واشفع تشفّع واطلب ماتبغي تعطى الذي ترضى فأنت محمّد

يعطى الشّفاعة و الوسيلة والرّضى أكرم به من شافع وممجّد

وينال إذ ذاك الرّضى من ربّه ويقرّ عينا بالنّعيم السّرمد

لولاك ما كان النّهار وما دجا ليل ولابان الصّواب لمرشد

لولاك لم تكن الجحيم لمن عصى لا ولا الطّور الحسان لمهتد

صلى عليه الله في ملكوته ماغرّدت طير على غصن ند[6]

و قال أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني [7]في مدح أبي حمو موسى،و تندرج هذه القصيدة ضمن المولديات:

السّرور الأفخرا فـأظهرت ظهرت

الأزهرا الهـلال فأخفضـــــت وسمت

علويـــة ـةسنيّ معــالي ورقّت

وأشهرا ماعلتـــه أعلــى كان ما

ميمونـــة صبيحـــــة صـــبح لله

خيّرا نـورا الله بفضـــــل أبـدت

صـــــبيحة وخـير ماصـــبح يـــاخير

اطهرا ظهـيرا بمولـــده جاءت

بتبسّم تغرهــا عن لنـــا ســـفرت

عنـــبرا أنـارت قـد روض أزهار

عطريــة جيـدها قلائـــد وجاءت

واعطرا ذلـك الـــريح أشـهى ماكان

ومهتـد هادPبأحمـد جاءت

ومطّهرا ومجدّدا ومبشّرا

لبعثـــــه المشـــــركين ر كاب خضــعت

وكسّرا منه الإيــوان وتضعضـــــع

بفـــــارس المجـوس نـــيران و كذاك

سطّرا قـد كما بولـــده خمدت

و بكفّه حصبا رمال سبّحت

وكذلك الماء الزّلال تفجّرا

والظّبي كلّمه بأفصح مقول

و الضّبّ ردّ له جوابا مخبرا

وشكا البعير إليه ظلما ناله

فحباه نصرا بالعدوّ وظفّرا

وبكى الجذيع شوقا لفراقه

فحنا عليه مسكنا ومبصّرا

هذا وكم من معجزات قد سمت

وتعاظمت في قدرها أن تحصرا

صلّى عليك الله ياخير الورى

أزكى صلاة وأعزّ أوفرا

مولاي إنّي قد رجوتك كاشفا

بلوى ذنوبي ما اقترفت تحسّرا

مالي إلى ربي سواه وسيلة

فيمنّ بالعفو الجميل ويغفرا

ويبلّغني طيبة في(....)

من قبل أن ألقى الممات وأقبرا(8)

وباب جودك ياملیك مطيّتي

أوقفت أرجو منك وموترا

طابت بذكرك ياملیك وعطّرت

أرجاء تلمسان وطابت مخبرا(9)

وسمت بك العليا أسمى رتبة

وبجاهك المجد الرفيع تآزرا

لله منك مكانة قد أظهرت

تعزيز نصرك ظافرا ومؤزّرا

لله منك خلالة مأثورة

ومهابة فيها العدوّ وتحبّرا

لك في الوغى إن قاصدت لمفاخر

تفني الأسود إذا بلونا منظرا

وإذا شئت فبحر غيث وابل

وإذا شئت فبدر تمّ وأزهرا

موسى الرضى مولاي فاهنا واثقا

بالله فالفتح المبين تيسّرا

فاحكم بما تهوى فأمرك نافذ

حكمت به الأقدار خيرا للورى

فالله يبقيكم ويديمكم في أمركم

نصرا على مرّ الزّمان مظفّرا

ثمّ الصّلاة على النّبيّ محمّد

أسنى الورى ذاتا وأطيب عنصرا [10]

الفقيه الحاج محمد بن أبي جمعة التّلالسي[11]:أشهر ربيع أنت قلبي * لقدكان الفؤاد إليك حادأتيت

بسيّد الثّقلين طرّا * وخير الخلق من آت وغاد

نبيّ هاشميّ أبطحيّ * سرى بملكه واللّيل هادحباه الله بالسّبع المثاني *وفضّله على كلّ العبادمحبته لقد علقت بقلبي* بها أرجو نجاتي في المعادعليه صلاة خالقنا تعالى * إلى يوم ينادينا المناديصلاة دائما تترى عليه *وليس لها وحقّك من نفادعباد الله من عرب وعجم* هلمّوا للصّلاح وللرّشاد[12]**الهوامش والإحالات**

1- أبو حمو موسى الزياني ،حياته وأثاره،د/ عبد الحميد حاجيات الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر،ط2،1982،ص387.

2- أبو محمد عبد المؤمن المديوني: لم نعثر له على ترجمة

3- كسر في عجز اليت ،لعلّ الأصوب: (ينفكّ عنه ولا يبغى به بدلا)

4- زهر البستان في دولة بني زيان (مخطوط) مؤلف مجهول،ج2.

5- كسر في عجز البيت،لعلّ الأصوب (بشرى له وله الشّفاعة في غد)

6- زهر البستان في دولة بني زيان (مخطوط) مؤلف مجهول،ج2/65\66

7- أبو عبد الله محمد بن المؤمن الحسني الجزائري،شاعر فاضل،حظي بصحبة شيوخ اجله،وتراوحت رحلاته بين المشرق و المغرب له شعر رقيق ومجموعة رسائل ، تولى القضاء بعاصمة الجزائر،ينظر:تعريف الخلف برجال السلف،محمد الحفناوي(موقع الورّاق،www.alwaraq.net).

8- كلمة غير واضحة.

9- كسر في الوزن،و الأصوب:

10- طابت بذكرك ياماليك وعطّرت أرجا تلمسان وطابت مخبرا

11- زهرالبستان في دولة بني زيان(مخطوط)، ج2ص63،64

12- محمد بن أبي جمعة التلالسي،شاعروأديب،كان طبيب السّلطان أبي حمو موسى الثاني،وهو من أسرة جلّ أفرادها أطباء و الأرجح أنه عاش مابين أواخرالقرن السابع والثامن الهجريين،له قصائد رفيعة وموشحات ف مختلف الأغراض وبخاصة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ،وكان حن النظم متفننا في أفانين الشعر،ينظر: بغية الرواد،يحي بن خلدون،تحقيق الفرد بيل،الجزائر،1903- 1،1910/2/17،47-2-49/141،140 ومابعدها،وينظر أيضا أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره،ص173-174

13- زهر البستان في دولة بني زيان(مخطوط)، ج2/67.

المصادر و المراجع:

1- أبو حمو موسى الزياني ،حياته وأثاره،د/ عبد الحميد حاجيات الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،ط.2،1982

2 -بغية الرواد ،يحي بن خلدون،تحقيق الفرد بيل الجزائر،1903- .1910

3 - زهر البستان في دولة بني زيان (مخطوط) مؤلف مجهول،الجزء الثّاني.

4 - مواقع أنترنيت

5 - موقع الورّاق www.alwaraq.net(تعريف الخلف برجال السلف،محمد الحفناوي)